

الباب الثالث

طريقة إعداد الخطبة

obeikandi.com

طريقة إعداد الخطبة

من المهم جداً أن يعد الخطيب خطبته ويحضر موضوعه حتى يكون كلامه مركزاً ومنظماً، فيفيد مستمعيه ويرضى ضميره، وأيضاً ينظم أفكاره ويرتب عناصره فى نقاط.

ولياخذ شكل الإعداد الآتى:

إذا كانت مثلاً خطبة دينية كخطبة الجمعة، يشرح الخطيب أفكاره مستنداً على القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف من الأئمة والصالحين وأعمالهم، ويستخلص النتائج التى تتاسب الظروف الراهنة والأحوال الطارئة، وهو بذلك يشد انتباه المصلين إليه ويجعلهم ينتظرون موعد خطبة الجمعة بفارغ الصبر، فيؤمه الناس وتقصده الجماهير من كل مكان مما هو معروف من سيرة بعض الدعاة فى ماضينا وحاضرنا.

أما إذا لم يعد خطيب الجمعة موضوعه فستشير كل الدلائل إلى أنه شارد الذهن. مشتت الفكر فيشرق ويغرب ويأتى بأفكار من هنا وهناك وبكلام أكثره غير منطقي يشيع فيه التناقض والاضطراب، وكثيراً ما ينسى شيئاً وتغيب عنه أشياء، فيكرر نفسه ويطول الكلام ويمضى الزمن دون جدوى ويصاب السامعون بالملل والتذمر، وكل ذلك نتيجة اعتماد الخطيب على الكلام المرتجل الذى قد يخطر على باله فى اللحظة والتو دون سابق تحضير.

ومثال ثان: هب أنك مقدم على الحديث مع مسئول كبير، لك عنده حاجة فماذا تفعل؟! .. هناك عدة أمور لابد أن تراعيها حينئذ:

أولاً: أن تستبين الموضوع الذى ستتکلم فيه وتحدد غايتك منه تحديداً كاملاً.

ثانياً: أن ترتب مقدمات الحديث وأساليب النقاش مستعداً للرد على كل ملاحظة يمكن أن تثار.

كيف تكون خطيباً

ثالثاً: أن تكون مرناً ولبقاً فى كل ما يوجه إليك من كلمة أو رأى أو معارض.

رابعاً: أن تستعد بالأسلوب السهل والكلمات ذات المعنى الأكثر تعبيراً عن الفكرة.

وهكذا.. وعلى ضوء هذا من الممكن أن تعد الخطبة.

وأنه من الخير دائماً أن يخلو الإنسان إلى نفسه قبل الخطابة أو الكلام، ثم يذهب فى هدوء يتصور نفسه قائماً فى الموقف الذى سيكون عليه، ثم يشحذ عقله ومواهبه لمواجهة هذا الموقف واحتمالاته.

فبقدر إتقان أساليب الخطابة والاستعداد لها والمران عليها فى "البروفات" مراناً كافياً يكون النجاح المرجو.

وبهذا نرى أن هناك أركاناً ثلاثة لابد للخطيب من رعايتها:

(١) موضوع الخطبة أى "عنوانها".

(٢) المادة العلمية التى تقوم عليها الخطبة.

(٣) صياغتها النهائية.

ولتسهيل الأمر عليه: فإنه ينبغى له أن يقسم الخطبة إلى عناصر وفقرات مترابطة، ثم يستحضر هذه العناصر، ويستحضر فى نفسه أساليبها والعبارات التى تؤدى بها.. وسأخذ مثالا على ذلك وهو طريقة إعداد الخطب الدينية.

كيفية إعداد الخطب الدينية

أولاً: موضوع الخطبة الدينية:

موضوع الخطبة في الإسلام وميدانها هو نفس الميدان والمجال الذي يعمل فيه الإسلام.

والمجال الذي يعمل فيه الإسلام هو الحياة الأولى والآخرة جميعاً، فليس عمله هو الحديث عن الجنة والنار أو الحياة والموت كتلك الكلمات التي مل الناس سماعها، وتلك الخطب المقروءة من بعض الدواوين والتي يسمعها الناس في بعض مساجد القرى، ثم يخرجون لا يدرون ماذا قال خطيبهم إلا حديثاً عن الجنة أو النار، أو يخرجون وقد حفظوا ما قاله لكثرة ما تردد عليهم.

أو كتلك الخطب التي تتناول النوح على الحياة والتخويف بالموت على نحو مطلق، فإن هذا لا يحصل في القلوب إيماناً بالله ولا توحيداً، ولا يفيد معرفة خاصة ولا يذكر بآلائه، ولا يبعث النفوس على محبته جل شأنه والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون وهم لا يدرون من الخطيب شيئاً إلا أنهم سيموتون وتقسم أموالهم ويبلى التراب أجسادهم !

كما أن موضوع الخطبة في الإسلام ليس هو الحديث عن هذا الجانب من الحياة أو ذاك فقط وإغفال الآخر.

إن موضوع الخطبة في الإسلام هو تلك المعاني الواسعة المحيطة بالحياة الأولى والآخرة معاً، المتحدثة عن الدنيا والآخرة والجسم والروح والسلم والحرب والإنسان والجماعة، وكل المعاني المفصلة لكافة الأحكام في شتى شؤون الحياة.

ومن تأمل خطب الرسول ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوجيه وذكر صفات الله جل شأنه وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وإحصاء نعمه وسرد نعمه التي تحببه إلى خلقه،

كيف تكون خطيباً

وذكر أيام الله والأمر بشكره وذكره، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم. فالإسلام والحمد لله واسع جداً وفيه مجال للقول الكثير.

وعموماً.. ففي الإسلام نظام شامل لكل مرافق الحياة "فيه الأحكام التي تنظم سلوك الناس في كل ما يصدر عنهم من أعمال عبادات على تعددها ومعاملات على تنوعها وتخالفها.

وقد استقصى الفقه الإسلامى الشئون الاجتماعية وبينها حتى دخل مع الرجل بيته وحكم بينه وبين زوجته، فبين ماله عليها ومالها عليه، وفصل ما عسى أن يقع بينهما من خصومة، وحكم بين الرجل وولده وبينه وبين نفسه حتى بعد مماته بين تقسيم ميراثه، ودفنه وقبره ثم أوصى بأيتامه خيراً.

وبين الفقه كيف يوصى على أولاده وقدر ما يوصى به، وكيفية الحجر على السفية، كل ذلك لينتظم أمر الحياة وليعيش المسلم عيشة منتظمة يتفرغ معها لإعداد الزاد ليوم المعاد، ولما كانت هذه الأحكام صادرة عن الوحي كان في التزامها والعمل بها سعادة البشرية أفراداً وجماعات. وكل ذلك تحقيقاً للقصد من رسالة محمد ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١).

نذكر ما سبق ذكره لنبين كيف أن الإسلام شمل كل الحقائق التي يحتاج إليها العالم في شئونه جميعاً، وصدق الله حيث يقول:

﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٢).

وذلك هو موضوع الخطبة والتوجيه في الإسلام.

ثانياً: مصادر الخطبة الدينية:

ينبغي أن يستمد الخطيب عظته ونصحه من النصوص الشرعية والعلوم الكونية والفضائل النفسية.

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٨.

والخطابة الإسلامية الرشيدة هي التي تستمد من القرآن الكريم والسنة المحمدية والنصوص الصحيحة وتسير في ضوئها. ولنا في هدى النبي ﷺ خير قدوة وأفضل توجيه. فكثيراً ما كان يخطب بالقرآن الكريم. وفي صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة ما أخذت ﴿قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾ إلا عن لسان رسول الله يقرأها كل يوم جمعة إذا خطب الناس.

وكان عمر يخطب أحياناً بسورة النحل: ﴿أَنَّى أَمَرُ اللَّهَ فَلَا تَسْعَ جُلُوهُ﴾ فالقرآن الكريم والسنة الشريفة والنصوص الصحيحة وأقوال السلف الصالح هي المصادر التي ينبغي أن تستمد منها الخطبة الإسلامية.

وتلك هي الروافد الدافقة التي تمد الخطابة في الإسلام. وهي ينباع الصافية التي ينبغي أن يجعلها الخطيب مصدر روائه وغذائه.

ولا غرو فمن معانى القرآن الكريم تتفجر ينباع الخطابة الصحيحة. والخطابة المستمدة منه هي وقود النهضة الرشيدة وضياء أمة تريد أن تستقيم على دربها، إذ إن أسلوبه في خلق الضمير الزاكي والفكر الراقى وتقويم السلوك المعوج يكفى ويغنى ويشفى ويهdy للتي هي أقوم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).

كما أن للقرآن قدرة فذة على قيادة الناس إلى الحق وعلى استئارة أفكارهم واستئضاء مشاعرهم والسمو بهم إلى كل ما هو خير.

ولم يكن الوعاظ والمذكرون في صدر الإسلام يذهبون إلى أبعد من الكتاب والسنة في توجيهاتهم ونصائحهم. وكان عماد الخطبة أو العظة في عصرهم إما القرآن وإما السنة وإما كلام مستمد منهما يدور في فلكهما ولا يتجاوز محيطهما.

وعندما نتأمل الخطب المروية لنا عن الخلفاء الراشدين نراها محكومة بتلك المعانى التى أشرنا إليها - وسنأتى بنماذج منها فى الباب الأخير - وهى خطب فتحت لنفسها طريق الخلود والبقاء. فما زالت قائمة يرجع إليها الدعاة حيناً بعد حين ليقتبسوا منها ويأتنسوا بهديها ويأخذوا منها القدوة. بل ويتعلموا منها فنون الكلام.

وعلى الخطيب أن يحاول جهده فى أن تكون خطبته محكومة بهذا الإطار السابق، ولامانع من الاستئناس ببعض القصص القصيرة والصحيحة خاصة للعامة التى تحب هذا النوع من القول وتطير وراء أصحابه وليكن ذلك بحذر وبقدر.

وفى القرآن الكريم والسنة المطهرة متسع كبير فى هذا المجال قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

والذى نوصى به الخطيب أن يكون عماد درسه أو خطبته القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة وأقوال السلف الصالح، وعدم الجرى وراء القصص المسلية والإسرائيليات الموضوعة، فإن ذلك موضع نقد شديد وشكوى كثيرة من الجمهور للخطيب. ثم إنه ينبغي ألا يغفل جانب الخطورة التى تعود على المسلمين من رواية الإسرائيليات، نظراً لما تحويه من أباطيل وخرافات نسب بعضها إلى الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، وذلك من حيث إنها تفضى إلى الآتى: (٢)

(١) إنها تظهر الإسلام بمظهر الدين الذى يعنى بالترهات والأباطيل التى لأصل لها. كما أنها تصوره فى صورة دين خرافى يعشق الخرافات ويطير وراءها. ويعنى بأوهام من صنع الخيال.

(١) سورة يوسف الآية ١١١.

(٢) انظر ابن الجوزى الواظ "ص ٣١٧/ ٣٢٠" رسالة دكتوراه للدكتور جمعة الخولى.

(٢) إن رواية مثل هذه الإسرائيلية تكاد تصرف الناس عما هو أهم في دينهم ودنياهم وتشغلهم بالتوافه والصغائر عن البحث في الأحكام والتفاصيل المهمة، وعن التدبر في آيات القرآن والانتفاع بعبره وعظاته وقصصه الحق، مع أن شغل الناس بمثل هذه الأمور مضيعة للوقت فيما لأفائدة من معرفته، ويعتبر البحث عنه عبثاً محضاً.

(٣) إن مثل هذه الروايات لا تذكر هكذا، وإنما تنسب إلى بعض الصحابة والتابعين. الأمر الذي يسيء إلى سمعة صحابة أجلاء وتابعين كرام، ويهز الثقة فيهم، ولعل نتيجة ذلك ما كتبه أبو رية في كتابه "أضواء على السنة المحمدية" ونال فيه من أمثال الصحابي الجليل أبي هريرة وطعنه في روايته وعن توثقه، مما جعل العلماء يتصدون له ويردون عليه.

(٤) إنها تشوش على عقائد العامة وأفكارهم لعدم تمييزهم بين الحق والباطل، والحق أن النفس إن لم تكن لها حصانة من علم صحيح وبصيرة نيرة تميز بها بين الحق والباطل كثيراً ما تتطلى عليها تلك الأعاجيب وتسلم في بساطة ويسر للغرائب ولو كانت أكاذيب.

وكثيراً ما يثير الدهشة ما يرويه بعض العوام من قصص فيها هدم للسنن الكونية. بل وهدم لأركان الدين وأحكامه وترويج للفسق والفجور ودعوة إلى أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.. وأحاديث تنسب لرسول الله ﷺ أو أحد صحابته - رضى الله عنهم - لمجرد هز الثقة أو الإساءة لأحد هؤلاء.. ولذا فقد أوصينا ونوصي الخطيب أن يسير في نسج خطبه على نور القرآن الكريم والهدى النبوى الشريف وأن يتجنب الجرى وراء الخرافات والأحاديث المجهولة الأصل أو المدسوسة، وأن يتأكد من مصادره قبل أن يلقي بعباراته في قلوب السامعين قبل أسماعهم.

كيف تكون خطيباً

وأخيراً إذا كنا قد تحدثنا عن كيفية إعداد الخطب الدينية بإسهاب بعض الشيء، فذلك لأن الخطب الدينية شائعة ولاغنى عنها فى المناسبات الدينية وأيام الجمع وغيرها..

وهذا لا يمنع أن هناك خطبا دينية علمية نخلط فيها بين العلم والدين والتي يجب أن يراعى فيها الخطيب ثقافة المستمعين فى هذا العصر الذين يميلون لسماع العبارات الرقيقة المختارة والأداء العالى فى أسلوب محكم، نظراً لارتفاع مستوى الثقافة فى هذه الأيام عن طريق المرئيات والسمعيات، وكذلك كثرة اطلاع هؤلاء على ما ينشر من ألوف الكتب.

ويجب ألا نغفل الخطب الحماسية السياسية التى يلقيها بعض الزعماء لشعوبهم إزاء بعض المناسبات، سواء للتهنئة بالأعياد القومية أو لتوضيح وشرح حدث معين تمر به البلاد مثلاً.

وعموماً سنتناول نماذج عديدة من الخطب وطرق إعدادها فيما هو آت، ولكن ليس قبلما نتناول الصفات الواجب أن يكون عليها الخطيب والتى استشفقناها مما سبق.

* * *